



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان 2019/07/10
السنة الثانية عشرة - العدد: 4330

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

الأربعاء الحر

مقتطف من مجلة الإنسان والتطور الفصلية (1980 - 2001)

مقتطف وموقف (1)

امرؤ القيس والإحساس بالزمن
عصمت داوستاشي
المقتطف: يقول امرؤ القيس:
وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كان نجومه
بأمراس كتان إلى صم جندل

الموقف:

أصبح الإحساس بالزمن في أيامنا هذه أمرا ثانويا مرتبطا بأشياء خارجنا بل وخارج إطار الطبيعة ذاتها، أصبحنا نتعرف على الزمن من آلات نعلقها على حوائط في أماكن مغلقة، أو نحيط بها رسغنا نضبط أنفسنا عليها ولا نضبطها على إيقاعنا، بعد أن نسينا وأنسينا أن لنا إيقاع حيوي مواكب للكون ودوراته، قبل كل تلك الآلات وبعدها، وموقفنا تجاه إحساس امرؤ القيس لآبد أن يكون موقف المتأدب الذي يجفل مما آل إليه حاله، سواء تم ذلك دون وعي أو بوعي غبي، ولكن أليس الحق مع إنسان العصر إن هو أغفل الزمن كل هذا الاغفال؟ إذ من أين له بالصبر على هذا الإيقاع البطيء يتحدى، من أين له أن يحتمل هذه الإحاطة من كل جانب، وهي ليست إحاطة، الستائر الساكنة الداكنة، ولكنها إحاطة الموج المتلاطم القوى فهي إحاطة دافقة هادرة لا تترك الفرصة لغيوبة أو هروب، بل تحفز المواجهة والمراجعة، استنقاذا وحفزا: في مواجهة الذات

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كان نجومه
بأمراس كتان إلى صم جندل

أصبح الإحساس بالزمن في
أيامنا هذه أمرا ثانويا مرتبطا
بأشياء خارجنا بل وخارج إطار
الطبيعة ذاتها

أصبحنا نتعرف على الزمن من
آلات نعلقها على حوائط في
أماكن مغلقة، أو نحيط بها
رسغنا نضبط أنفسنا عليها ولا
نضبطها على إيقاعنا

أن نسينا وأنسينا أن لنا إيقاع
حيوي مواكب للكون
ودوراته، قبل كل تلك الآلات
وبعدها

أليس الحق مع إنسان العصر
إن هو أغفل الزمن كل هذا
الاغفال؟ إذ من أين له
بالصبر على هذا الإيقاع
البطيء يتحدى، من أين له
أن يحتمل هذه الإحاطة من
كل جانب،

الهموم العظيمة تأتي لتوقظ:
إذ تحد الرؤية، لتبتلى: إذ
تشخذ الصبر وتصهر الرجال،
ولتردع

أرقت ولم يأرق لما بى نافع
وهاج لى الشوق الموموم
الروادع

فقدنا الإحساس بالزمن، وتلمس
سدول الليل، وتتبع أعجازه
الثقال، وتسلق حبال نجومه
الثوابع

أصبح همنا أن ينقضى الليل
على أمل لا يتحقق أبدا، لأننا لا
نعرفه أصلا، فإذا حاولنا
معرفة القى فى روعنا أنه
'الرفاهية' حتما، كلمة ماسخة
لا قوام لها

ايقاع الحركة - حتى دون
اليقين ببديل أفضل - هو فى
ذاته حياة تستحق أن نطلبها
لذاتها، وليكن الإصباح
كالليل، والليل كالموج

إن إصرار ديننا الحنيف على
التأکید على أن 'الإيمان
بالغيب' هو أحد أركان
الإيمان الأساسية، لابد أن
يؤكد التوصية على ضرب
خروج البشر 'هذا

انى أتصور الإيمان بالغيب
على أنه 'دعوة مفتوحة'
لمعرفة خير محدودة، فهمي
ليست أبدا تسليما لمجهول

إن هذا الوعي بالزمن: إذ هو
تلاحق دوراته فى تصعيد
منتظم متعاطم، لابد وأن

/ الزمن/القدر/العجز/الفناء/ الهجر/الوحدة /الحاجة، نعم، أليست هذه هى 'أنواع الهموم'؟ تلك
الهموم التى نسينا أن لها أنواعا، فرحنا نتصور أنها هم واحد، ثم ذهبنا نطلق عليه اسم مرض
سخيف، يحرمنا من عمق الرؤية، وروعة تنوع الآلام البشرية المتحدية المتخفة، أصبح الهم
واحدا، ومع ذلك فهو لا يحتمل، مع أن شاعرا آخر أعلن أنه 'ولو كان هما واحدا لإحتملته....
ولكنه هم وثن وثالث'، والهموم العظيمة تأتي لتوقظ: إذ تحد الرؤية، لتبتلى: إذ تشخذ الصبر
وتصهر الرجال، ولتردع، وامرؤ القيس هو الذى قال أيضا (بعد أن أبلغ نبأ مقتل أبيه).

أرقت ولم يأرق لما بى نافع
وهاج لى الشوق الهموم الروادع

نعم، فقدنا الإحساس بالزمن، وتلمس سدول الليل، وتتبع أعجازه الثقال، وتسلق حبال نجومه
الثوابت، وأصبح همنا أن ينقضى الليل على أمل لا يتحقق أبدا، لأننا لا نعرفه أصلا، فإذا حاولنا
معرفة القى فى روعنا أنه 'الرفاهية' حتما، كلمة ماسخة لا قوام لها، أن صلحت مخدعا متأرجحا
لطفل رضيع فهمي لا تصح شرفا لوعى متفجر، بل أن امرؤ القيس كان يواصل نداءه للزمن أن
يتحرك حتى وهو يعلم أنه قد لا يواجه فى صبحه إلا ما يفر.. منه فى ليله، ومع ذلك.. فايقاع
الحركة - حتى دون اليقين ببديل أفضل - هو فى ذاته حياة تستحق أن نطلبها لذاتها، وليكن
الإصباح كالليل، والليل كالموج، ولتكن علاقتنا الوثيقة بخطى الحياة ومواكبنا لها هى الوسيلة
الوحيدة لتحقيق 'الممكن المجهول'، ذلك الممكن الذى تصير الحياة المعاصرة على أن يكون معلوما
أصلا، ومسبقا أبدا، وعلى وجه الدقة، قولوا لى بالله عليكم 'كيف'؟، إن إصرار ديننا الحنيف على
التأکید على أن 'الإيمان بالغيب' هو أحد أركان الإيمان الأساسية، لابد أن يؤكد التوصية على
ضرب غرور البشر 'هذا'، حتى تتفتح الآفاق رحبة لعوالم لا نعرفها، ليست واردة أصلا فى برامج
'كمبيوتراتنا' المحسوبة، انى أتصور الإيمان بالغيب على أنه 'دعوة مفتوحة' لمعرفة غير
محدودة، فهمي ليست أبدا تسليما لمجهول، ولكنها سياحة مبدعة فى محيط 'الممكن' المتجاوز،
هذه هى المسألة، وحتى لو لم يكن 'الإصباح' عند امرؤ القيس 'بأمثل' من ليل هذه الليلة التى
يواجهها فى شعره هذا، فإن ذلك لم يثنه عن الذهاب إلى محاولة قلقلة الصخور الصلبة (صم
الجنادل) أو قطع حبال الكتان التى تربطها إليها، حتى تتحرك النجوم اذ يعاود فلك الكون دورانه
إلى ذلك 'الممكن المجهول'.

إن هذا الوعي بالزمن: إذ هو تلاحق دورات فى تصعيد منتظم متعاطم، لابد وأن يواصل
الواعى منا إلى انتسابه الأول إلى تراب الأرض، أصلا.. ومصيرا، وكفى بهذا النسب هاديا ومربيا
ولائما ومعلما بالموت.. أيضا:

فكما فقدنا الإحساس بإيقاع الزمن فقدنا - بالمرّة - الإحساس بنهاية دورة حياة الفرد منا، ذلك
'الموت العظيم'، وحين تختفى هذه الحقيقة 'الزمنية' وراء إغماء الجشع أو أوهام الخلود، يحل كل
شئ وتفقد الحياة الإنسانية شرف الوعي بالبداية والنهاية، وتهتز القيم وتتميع الأخلاق، وامرؤ

القيس - أيضا - يتذكر ذلك، لأنه هو الذى يقول:

ستكفينى التجارب، وانتسابى

فبعض اللوم عادلتى، فانى

وهذا الموت يسلبنى شبابى

إلى عرق الثرى، وشجت عروقى

وإن كنا نجحنا فى أن نعيش مواكبته لإيقاع الزمن بكل هذه الدقة وعمق هذا الوعى، فاننا نقف معارضينه حين يعلن أن هذا الموت يسلبه شبابه، اللهم إلا إذا رضينا أن نقف عند لفظة 'هذا'، فنقول أنه لم يعمم إذ لم يقل: 'وإن الموت يسلبنى شبابى'؛ بل خصص موتا بذاته لعله يعنى به الجمود، أو اليأس، أو الاستسلام، ولكنه أبدا ليس 'كل الموت'، لا: ليس الموت المربى الأعظم، إذ أن الأصل هو أن يكون اليقين بالموت هو الدافع الحقيقى إلى اثراء الحياة، وتحسين نوع التواجد فيها، وحفز الإبداع صلاة لها وتسبيحا أثناء رحلتنا المحدودة، فالوعى بالموت ليس إلا حافز نحو الحياة النابضة الغنية، أما 'هذا' الموت بالغيوبة والتخدير والاعتراب فهو الذى يسلب كل شىء، نعم كل شىء، الشباب والوعى والإبداع جميعا.

الأهله والمواقيت:

ولعل هذه الوقفة أمام الاحساس بالزمن إذ هو بعد داخلى / خارجى دوار، يذكرنا بالقضية المثارة كل عام، وإصرار فقهاء المسلمين على رؤية الهلال رؤى العين دون الاعتماد على الحساب الفلكى، وقد كنت دائما - ومازلت أحيانا - أرفض هذا الاسلوب اللاعلمى فى التعامل مع 'المواقيت'، الا اننى ذات رمضان - وكنت فى باريس - أتصل بى زميل ظريف، على غير دينى وأخبرنى أنه سمع مصادفة من إذاعة الجزائر أن رمضان يحل غدا، هكذا فجأة، ومضى فى دعابته يسألنى 'ألن يرسى مشايخكم على رأى يريحكم من هذه الحيرة كل عام؟'، وكدت أخجل، لكن خاطرا قفز إلى ذهنى يقولك "ولم لا؟"، هل فريضة الصيام هذه سوف تكون أكثر قربا إلى الحق سبحانه، حين نتبع فى بدايتها كلام مرصد تنوب عن حواسنا، ألا يمكن أن يكون التأكيد على أن تظل الأهله - رغم كل التقدم - هى هى مواقيت للناس، وأن يتبع المسلمون جميعا نظرة عابر سبيل، أشعث أغبر، رأى الهلال، أو خيل له أنه رآه؟ ألا يكون فى هذا - ضمنا - توثيق للعلاقة بين الحواس المباشرة والزمن الدائر، الدائر فعلا، وليس المحسوب: خبرا، كما أنه يتضمن أيضا أن يتبع أينا - مهما كان - أيا منا مهما هان؟ فالعبرة بالإتفاق - أى إتفاق - والحفاظ على حق الإنسان (مجرد دون آله) أن ينظم عباداته مع ربه، وأن يتفق فى ذلك مع سائر من يتوجهون وجهته؟ نعم.. .. لم لا؟- ولم أقتنع كثيرا بهذا خاطر الطيب، ولكنى لم أعد أرفض متشجنا غلو فقهاء المسلمين فى التمسك بتفسير لفظ 'رؤيته'، ولم أخجل من لمز صديقى على أى حال .

نعم. . . ولكن:

بواصل الواعى منا إلى انتسابه
الأول إلى تراب الأرض، أصلا..
ومصيرا

كما فقدنا الإحساس بإيقاع
الزمن فقدنا - بالمره -
الاحساس بنهاية دورة حياة
الفرد منا، ذلك 'الموت'
العظيم،

حين تختفى هذه الحقيقة
'الزمنية' وراء إنحاء الجشع أو
أوهام الخلود، يحل كل شىء
وتفقد الحياة الإنسانية شرفه
الوعى بالبداية والنهاية،
وتهتز القيم وتتميع الأخلاق

أن يكون اليقين بالموت هو
الدافع الحقيقى إلى اثراء
الحياة، وتحسين نوع التواجد
فيها، وحفز الإبداع صلاة لها
وتسبيحا أثناء رحلتنا المحدودة

الوعى بالموت ليس إلا حافز
نحو الحياة النابضة الغنية، أما
'هذا' الموت بالغيوبة
والتخدير والاعتراب فهو
الذى يسلب كل شىء، نعم كل
شىء، الشباب والوعى والإبداع
جميعا.

ألا يمكن أن يكون التأكيد
على أن تظل الأهله - رغم كل
التقدم - هى هى مواقيت
للناس

أن يتبع المسلمون جميعا نظرة
عابر سبيل، أشعث أغبر، رأى
الهلال، أو خيل له أنه رآه؟ ألا
يكون فى هذا - ضمنا -
توثيق للعلاقة بين الحواس
المباشرة والزمن الدائر،

ولست فى دعوتى الضمنية هذه إلى ضرورة الإحساس بالزمن، والوعى بيقين الموت، والإتصال المباشر بالطبيعة، أرفض ضمنا منمنمات العلم، أو ضرورة الانضباط، وإنما أنبه على أنه لا ينبغى أن نستغنى عن حواسنا تماما، إنبهارا بما يقوم مقامها حتى ولو كان أدق وأمهر، قد يصح التوقيت الإلكتروني (!!) فى حسابات دورات القمر الصناعى، ورحلات الفضاء، وتشغيل مصنع، وحسابات 'كم' الإنتاج، ولكنه لا يصح على إطلاقه فى تعميق وعى، وتجديد وجدان، وترسيخ علاقة إيمانية مع الأكوان ورب الأكوان، ومواكبة الأحران، وتفجير طاقة الإبداع من المباشرة الحية الإنسانية الفردية المتميزة .

أليس كذلك؟

يحيى الرخاوى

[1] - عدد أبريل 1984 - مجلة الإنسان والتطور

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD100719.pdf

*** ** *

لسبب فى دعوتى الضمنية هذه إلى ضرورة الإحساس بالزمن، والوعى بيقين الموت، والإتصال المباشر بالطبيعة، أرفض ضمنا منمنمات العلم، أو ضرورة الانضباط

أنبه على أنه لا ينبغى أن نستغنى عن حواسنا تماما، إنبهارا بما يقوم مقامها حتى ولو كان أدق وأمهر

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي: <http://www.arabpsynet.com>

المتجر الإلكتروني: <http://www.arabpsyfound.com>

إصدار " الكتاب السنوي 2019 لشبكة العلوم النفسية العربية "

" منجزات 18 عاما من الكدح ... 16 عشرة عاما من التواصل "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

موقع " شبكة العلوم النفسية العربية": <http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

موقع المتجر الإلكتروني: http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=330&controller=product&id_lang=3

اشتراكات المساندة في مؤسسة العلوم النفسية العربية 2019

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات العضوية الفخرية في المؤسسة 2019

عضوية "الشريك الفخري الراسخ"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=125&controller=product&id_lang=3

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية الشرفية في المؤسسة 2019

عضوية "الشريك الشرفي المميز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3